



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2019/12/14

المسقة الثانية عشرة - العدد: 4487

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

### استهلال:

هذه المحاولة هي من باكورة الأعمال النقدية التي قَدَمتها في ندوات ثقافية (الجمعية المصرية للنقد الأدبي، جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي)، أو قمت بنشرها في دوريات.

وأحب في البداية أن أشير إلى أنه على تعدد محاولاتي في النقد، فإنني دأبت على أن أنفي عن قراءاتي هذه، أنها تنتمي إلى ما يسمّى "النقد النفسي"، وهأنذا أعلن أنني فشلت في مواصلة هذا الزعم، ولن أعود إلى مناقشة هذه الإشكالية مكتفياً بأن أبين حدود ما أمارسه من نقد على الوجه التالي:

أولاً: إن ما أمارسه من نقد لا ينتمي مباشرة أو كثيراً، إلى ما يسمّى التحليل النفسي للأدب.<sup>(2)</sup>

ثانياً: إن أية معلومات نفسية، مهما بلغت مصداقيتها، لا تصلح أن تُعامل باعتبارها المرجعية التي يقياس بها العمل الإبداعي، بل إنها تأخذ منه، علماً ومعرفة حاولت استعمال مصطلح التعبير الأدبي "للنفس" وقمت بنشر مجموعة من دراساتى النقدية بهذا الاسم.<sup>(3)</sup>

ثالثاً: إن اتفاق مصدرين للمعارف (الأدب وعلم النفس هنا كمثال) في كشف معلومة أو إضافة معرفة، هو نوع من "المصادقية بالاتفاق"، أى أن المصدرين قد يدعمان ما وصلا إليه من إضاءة، وإن اختلفت الأداة وزوايا الرؤية.

### الفصل الأول صلاح جاهين وشخصيته الفرانقباضية (من رباعياته أساساً)

أولاً: الشخصية الفرانقباضية<sup>(4)</sup>

تكاد تكون رباعيات جاهين نوعاً من السيرة الذاتية، دون أن يعلن ذلك، لهذا سوف أبدأ بما قرره هو عن شخصيته واسماها "الشخصية الفرانقباضية" مستشهداً بما جاء في الرباعيات أساساً، قبل الانتقال في الفصل الثانى إلى بعض الدراسة المقارنة مع رباعيات عمر الخيام ونجيب سرور.

### مقدمة

لقد أعفانا الشاعر الأديب الرسام الإنسان متعدد المواهب "صلاح جاهين"، من تسمية حالته النفسية، التي تكمن وراء كتاباته ونشاطاته المترامية الخلاقة، فقد طلع علينا في مجلة "صباح الخير" بوصف حالته تلك بهذه الصفة التي استعرتّها منه هنا، وقد كان صلاح أدقّ تعبيراً وأشجع موقفاً وأكثر صراحة من كثير من المختصين، فقد ذكر أنها حالة "عقلية"، ونحن كثيراً ما نخلط بين "العقلية" و"النفسية"، ولعل الفرق لا يتجاوز جراً بعضنا، وتحفظ الآخرين من المشتغلين بهذه العلوم

إن ما أمارسه من نقد لا ينتمي مباشرة أو كثيراً، إلى ما يسمّى التحليل النفسي للأدب

إن أية معلومات نفسية، مهما بلغت مصداقيتها، لا تصلح أن تُعامل باعتبارها المرجعية التي يقياس بها العمل الإبداعي، بل إنها تأخذ منه، علماً ومعرفة نحن النفس، أكثر مما نضيف إليه

إن اتفاق مصدرين للمعارف (الأدب وعلم النفس هنا كمثال) في كشف معلومة أو إضافة معرفة، هو نوع من "المصادقية بالاتفاق"

نحن كثيراً ما نخلط بين "العقلية" و"النفسية"، ولعل الفرق لا يتجاوز جراً بعضنا، وتحفظ الآخرين من المشتغلين بهذه العلوم

يختلف كثيراً<sup>(5)</sup>، لكنه الفرق بين الشجاعة والتخفي، بين المواجهة والتسوية، المهم أن صلاح جاهين أعفانا من كل هذا، وسمى الحالة بالاسم الأكثر صدقا وصراحة.

ووصف صلاح لشخصيته على أنها "حالة"، وليست "مرضا"، يؤكد مرة أخرى عمق بصيرته؛ إذ أن هذه التسمية تشير ضمنا أننا نتحرك في دائرة السواء مهما استعمل صفة "العقلية" ومهما تراوح السلوك الظاهري لما يسمى "الشخصية النوابية"<sup>(6)</sup> Cycloid تلك الشخصية التي يتمثل حضورها في نوبات تجليات الإيقاع الحيوي في الإبداع.

والإيقاع الحيوي هو الصفة الأساسية للوجود البشري، بل للوجود كله، وبالتالي فهو ليس مرضا أصلا، أما لماذا يظهر سلوكيا عند البعض في شكل دورات نوبات المزاج العادية، في حين أنه يصبح مرضا عند آخرين في شكل نوبات دورية لعديد من الأمراض العضوية (مثل قرحة المعدة، وتقرح القولون، وكثير من الأمراض الجلدية) والنفسية (مثل كل الأمراض النفسية الدورية وخاصة الهوس والاكتئاب)، ثم أخيرا قد يظهر في شكل نوبات إبداع فائق عند فريق ثالث؟ فذلك يتوقف على فرص استيعاب طاقة النبض الحيوي التي تشمل كلا من: (1) السماح و(2) المجال و(3) الأداة، فبقدر ما تجد نبضات الإيقاع الحيوي مساحة للطلاقة، وسامحا بالمحاولة، ومجالا للتشكيل، وأداة للتعبير، يكون تجليها إبداعا وحيوية وصحة، وبقدر تواضع أو ضيق أو انتفاء بعض أو كل هذا، يكون المرض.

وهذا ما ستحاول أن تبينه هذه الدراسة.

عمق الحزن، وقمة الفرح، ولأ مرض:

يعيش صلاح جاهين عمق الحزن وقمة الفرح في نوبات معيرة دالة، وهو يمارس هذه المشاعر في أوج الصحة.. والفرق بين إطلاق الطاقة دون مرض، وانطلاقها عشوائيا دون حدود أو ضابط هو الفرق بين الإبداع والمرض، ففي طور الهوس مثلا نجد أن الاهتمامات المتعددة لا تصل أبدا إلى أي هدف، أما في حالة الصحة فهي اهتمامات وملكات تعيد تخليق الواقع وتمتلك قدرة إعادة التنظيم في مثابة غائية مبدعة.

وعلى الجانب الآخر فإن ثمَّ فرقا هائلا حتى التناقض، بين معايشة الألم مع الاستمرار في مواجهة الحياة واختراق الصعوبات وبين الاستسلام للحزن مع الانهباط<sup>(7)</sup> الأول يمكن أن يكون قمة الصحة المتمثلة في اختراق الصعوبات دون إلغاء معايشة الألم الخلاق، والثاني هو الهزيمة المنسحبة (المسامة الاكتئاب عادة).

ظهر هذا التناوب في إبداع صلاح جاهين عامة، لكنه يظهر بوجه خاص في "رباعياته" التي تُمثل جرعة مكثفة من فكر نابض، تكاد تقترب في تكاملها من فلسفة حياة بأكملها، وهي تقي بإيضاح هذا التناوب، بين الإقبال والإدبار، أو بين الفرح والانقباض، أو بين الهوس والاكتئاب. وهذا ما التزم به هذه القراءة التي لا تكتمل إلا بالعودة إلى بقية إنتاجه.

وقيل أن نعرض مباشرة لهذا التناوب الخلاق عند صلاح، بين الفرح والاكتئاب، سوف نقدم خلفية عن موقفه الوجودي اليقظ، وحيرته المبدعة المتسائلة بصفة عامة، مع تركيز خاص على الرباعيات؛ باعتبارها جُماع فلسفته فعلا، وهذه الخلفية تُعتبر، بشكل ما، بمثابة التركيب الأساس وراء تناوب الفرح والانقباض؛ مما سوف نتناوله في الجزء الثاني من هذا الفصل.

صلاح: السؤال الحائر والوجود الباحث:

يعلن صلاح جاهين موقفه الوجودي الحائر بشكل مباشر، في كثير من إبداعاته، فيبدو وهو يدافع عن قضية وجوده، بكل الصور، وكأنه يدفع تهمة لا يعرفها، فنراه في "قصاقيص ورق" في موقف الاتهام، يطلق غناؤه وأنيبه وهو يدافع عن جريمة لا يعرف أبعادها ولا دوره فيها، وكأنه مسئول عن ذنب وجوده

أن جوهر الحقائق لا يختلف كثيرا<sup>(5)</sup>، لكنه الفرق بين الشجاعة والتخفي، بين المواجهة والتسوية

الإيقاع الحيوي هو الصفة الأساسية للوجود البشري، بل للوجود كله، وبالتالي فهو ليس مرضا أصلا

بقدر ما تجد نبضات الإيقاع الحيوي مساحة للطلاقة، وسامحا بالمحاولة، ومجالا للتشكيل، وأداة للتعبير، يكون تجليها إبداعا وحيوية وصحة، وبقدر تواضع أو ضيق أو انتفاء بعض أو كل هذا، يكون المرض

يعيش صلاح جاهين عمق الحزن وقمة الفرح في نوبات معيرة دالة، وهو يمارس هذه المشاعر في أوج الصحة

في طور الهوس مثلا نجد أن الاهتمامات المتعددة لا تصل أبدا إلى أي هدف

في حالة الصحة فهي اهتمامات

الذى لم يختره، وهو لا يجد تفسيراً لهذا "الشعور بالذنب" الذى يدفعه إلى "المرافعة" .. الباكية مرة:

مؤيد بكل أنين الكمنجات فى كل الوجود

العذبة البريئة حيناً:

بتهنية الأمهات للعيال فى المهود

المَرحة المنطلقة تارة أخرى:

بصوت القبل.. وكل ابتسامة بحق وحقيق

وهو يحس أنه فى حياته مهاجم بغير ذنب، متهم بغير تهمة، أمام أسياد وهميين يريدون نهش لحمه:

سيادى الحدّادى اللى حايمة على رمّتي

ولعل هذا الموقف هو الدافع الأصيل وراء انطلاقه فى كل هذا الإنتاج الفنى الوفير؛ ليواصل معركة الوجود، فهو إما أن يعبر عن صراعاته بهذا الأسلوب، وإما المرض، لذلك نجده يؤكد أهمية التنفيث بالكلام.. وإلا.

ده اللى ما يتكلمش ياكتر همه

وهو يحذرنا من ترددنا عن الإفصاح عن نشيجنا الداخلى بالغناء

يا عندليب ما تخافش من غنوتك

كتم الغنا هو اللى حيموتك

هذا هو ما فعله صلاح، وإن كان يبدو أنه لم يُعْطِه بدرجة كافية، إن ما يعنيه صلاح هنا بالغناء، إنما يشمل التعبير والإبداع والتناغم معاً، وهذا هو المخرج الحقيقى السليم لزخم الطاقة الذى تنفجر به النفس، ونكرر من جديد أننا ما لم نجد أسلوباً مناسباً ومجالاً كافياً ومتلقياً معاشياً لتشكيلات هذه الطاقة الحيوية المتدفقة التى تتجمّع فى أروع صورها فى الإبداع، وكأنها تجمع خصلات الإشعاع فى بؤرة هذا التخلّق الجديد، فإن مصير هذه النوبات هو التشتت بغير نظام، والضغط بغير توجيه فهو المرض.

واختزال الإبداع باعتباره حلاً لصراع نفسى، هو تسطيح لا يقدّم تفسيراً مناسباً لزخم الإبداع ودوره فى إعادة تشكيل الحياة، وصلاح، مثلاً، لا يستعمل إبداعه لمجرد حل الصراع، أو تفريغ طاقة محبوسة، وهو لا يهدف بإبداعه أن يقوم بوظيفة التطهير التى بالغ فى وصف أهميتها "أرسطو" ذلك أن الإبداع ليس مسألة تفريغ أو تنفيث مثل صمام إناء البخار، وإنما هناك حاجة أصيلة فى الكيان البشرى يمكن أن نطلق عليها: الحاجة إلى الإبداع، حاجة تلح فى التعبير فى أية صورة من الصور بالأداة المتاحة، وإبداع صلاح، فى الرباعيات بوجه خاص، يسرى عميقاً، رصينا رائقاً فى آن، حتى يبدو أنه يروى وجودنا مثلما تنوب الثلوج فى عروق الماء المنساب بين صخور الجبال؛ لتكون السيل المتجمع فى نهير جميل، يصبح مصدراً لريتنا، فنبدع بدورنا ما نستطيع، ونحن نتلقاه.

نسمعه معاً وهو يشير إلى القصيدة التى ينوى أن يكتبها،القصيدة التى تلوح له حتى يكتبها، التى تلح عليه أن يكتبها؛ ثم إنه بكل سلاسة الوجود، يكتفى بإعلان هذا التهيوّ الجاهز، ثم يعفى نفسه من قهر الالتزام بكتابتها:

ح اكتبها وان ما كتبتهاش أنا حر  
الطير ما هوش ملزوم بالزقزقة .  
والقصيدة تقول من البداية :  
فى يوم من الأيام راح اكتب قصيدة  
عن قطتى، عن الكمنجة الشريدة  
عن نخلتين فوق العلالى السعيدة  
عن العنب عن الهدوم الجديدة

وملكاته تعيد تخليق الواقع  
وتتملك قدرة إمادة التنظيم  
فى مثابرة غائبة مبدعة.

ثم فرحاً هائلاً حتى التناقض،  
يبين معاشة الألم مع الاستمرار  
فى مواجهة الحياة واختراق  
الصعوبات وبين الاستسلام  
للحزن مع الانهباط

هو يحس أنه فى حياته مهاجم  
بغير ذنب، متهم بغير تهمة،  
أمام أسياد وهميين يريدون  
نهش لحمه

أننا ما لم نجد أسلوباً مناسباً  
ومجالاً كافياً ومتلقياً معاشياً  
لتشكيلات هذه الطاقة الحيوية  
المتدفقة التى تتجمّع فى أروع  
صورها فى الإبداع، وكأنها  
تجمع خصلات الإشعاع فى بؤرة  
هذا التخلّق الجديد، فإن  
مصير هذه النوبات هو  
التشتت بغير نظام، والضغط  
بغير توجيه فهو المرض

هناك حاجة أصيلة فى الكيان  
البشرى يمكن أن نطلق عليها:  
الحاجة إلى الإبداع، حاجة تلح

عن طفلف بقمفص نوم  
عن قوس بعد الصلا فى العفد  
عن طرفشاف البحر ح اكتب فوم  
ح اكتب قصفدة  
ح أكتبها وإن ما كتبتفهاش أنا حر  
الطفر ما هوش ملزوم بالزقزقة  
هنا تفرقة واضحة بفن “كتم الغنا هو اللى حفموتك” وبفن “الطفر ما هوش ملزوم بالزقزقة”، وكلاهما  
فشفر إلى وظففة ترفق الإبداع بشكل ففأوز مجرد التفرفغ والتطفر، حتى لو لم فظهر مفاشرة فى الشكل  
الوافء بف.

### صلا ح هو رباعفاته: سفرة ذاتفة:

وإذا أردنا أن نحسن قراءة مثل هذا الإبداع، فلا بد أن نحسن النظر من أكثر من زاوفة معاف؛ فهذا  
النوع من الترفق الإبداعى لا فرفض حلا لصراف، ولا ففعالى على فغناء للتطفر، لكنه ففساب أبدا فى  
أصالة مسفقلة بذاتها لذاتها، قبل وبعد هذا كله.

و صلا ح جاهفن فكا، فى كثر من الأحيان، ففأوز ذاته وهو ففقمص فارفح البشرية، ففعلن - من  
خلال ذلك - روفة فدل التطور عبر فبرات الأففال السابقة، حفن ففكفف فى ذات مفرفة لا ففءى  
“الواحفة” المففزلة ففما هو “أنا أكون”، وإنما ففص ح نموفا لنارفح البشرية فى اللحنة الرافهة، وهى  
مفمثلة بكل حركفة الوجود مفعدد المسفوفاف والوسائل واللغات:

أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام

وحفد ولكن بفن ضلوعى زحام

خافف ولكن فوفى منى أنا

أخرس، ولكن قلبى ملفان كلام

.....

ونواصل مع صلا ح أفضا الأسبوع الفافم

- [1] المففنطف من كتاب “رباعفاف ورباعفاف” (الطبعة  
الأولى 1979، والطبعة الفاففة 2017) والكتاب مفاف فى  
مكفبة الأنجلو المصرفة وفى مفنذ مسفشفى دار المقطم للصحة  
الففسفة شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع  
9 مافنة المقطم، كما ففوف ففضا بموقع  
المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرافب

- [2] فمكن الرجوع إلى هذا الرأى بالففصفل فى أطروحة  
للکافب بفنوان “العلوم الففسفة والنقد الأءبى” مجلة فصول  
المجلد الفاف، العفء 3، 4، سنة 1991

- [3] إلا أن أ.د مصطفى الضبع فى هفئة قصور الففافة  
اقفرف بفنوان “فبافل الأقنعة” ووففده بفوانا فمفلا دالا،  
فوافف علىه ونشرف المموعة الفف فضمفنف نقء لبعض أعمال  
ففسفوفسكى أساسا بفارفح 2006 من منشورات قصور الففافة  
باسم “فبافل الأقنعة.”

- [4] نشرف فى صورفها الأولى فى كتاب: “حفاطنا والطب  
الففسى”، دار الغء للففافة والنشر، القاهرة، 1972-  
للمؤلف - بفنوان “صلا ح جاهفن وشخصففه الفرفانقباضفة” وفء  
أجرفف فعفلاف لفسف قلفة فى النسخة الحاففة.

- [5] كفبف هذه الفقرة فى ففرة حماسفة باكرة، منذ نصف  
قرن، وأظن أنى كنف - حفنذاك - أحاول ففرفب كلمة  
“العقلفة” من الناس؛ حتى لا فظل ففصنفاً مفنرفا، لكنى  
الآن أفراجع لأن الففرقة واجفة، وباففصار: ففان ما فسمى  
الأمراف الففسفة (أو العصاب) هو نوع من فرط العاففة، حتى  
المعاناة، فالإعاقفة النسبفة، أما ما فسمى الأمراف العقلفة  
(أو الفهان) فهو ففل كل من النموذج العافى للحفا مع

هذا النوع من الترفق  
الإبداعى لا فرفض حلا لصراف،  
ولا ففعالى على فغناء للتطفر،  
لكنه ففساب أبدا فى أصالة  
مسفقلة بذاتها لذاتها، قبل  
وبعد هذا كله.

أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام  
وحفد ولكن بفن ضلوعى زحام  
خافف ولكن فوفى منى أنا  
أخرس، ولكن قلبى ملفان كلام

إن ما فسمى الأمراف الففسفة  
(أو العصاب) هو نوع من فرط  
العاففة، حتى المعاناة،  
فالإعاقفة النسبفة، أما ما فسمى  
الأمراف العقلفة (أو الفهان)  
فهو ففل كل من النموذج  
العافى للحفا مع إجماف  
مفاولاف الففأوز (الإبداع) فى  
أن واحد

الانصباف: هى الكلمة الفف  
اقفرفها الأستاذ المرفوم أ.د.  
معب العزفر الفوفى؛ لفكون  
بفلا عن كلمة الأففناب؛ حتى  
لا فسفعل الكلمة نففسا فى  
السواء والمرض، بمعنى أنه

إذا وصل الاكتئاب إلى درجة مرضية، سمى انهباطاً، وهكذا نحفظ للاكتئاب حقه في التواجد كحالة سوية

إجهاض محاولات التجاوز (الإبداع) في آن واحد - [6] لا تقتصر النوابية على الهوس والاكتئاب وقد أضفت نوعين موازين: النوع الأول الشخصية "المُغيرانسحابية"؛ حيث تتراوح نوابيتها بين الإغارة والإقدام، في مقابل الانسحاب والهرب، أما النوع الثاني فهو الشخصية "الشكّاحوائية"، وتفصيلهما في كتابي "دراسة في علم السيكوباتولوجي" 1979 ص 477.

- [7] الانهباط: هي الكلمة التي اقترحها الأستاذ المرحوم أ.د. عبد العزيز القوسي؛ لتكون بديلاً عن كلمة الاكتئاب؛ حتى لا نستعمل الكلمة نفسها في السواء والمرض، بمعنى أنه إذا وصل الاكتئاب إلى درجة مرضية، سمى انهباطاً، وهكذا نحفظ للاكتئاب حقه في التواجد كحالة سوية.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD141219.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيبا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2019 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

\*\*\* \*\*

## المجلة العربية " نفسانيات "

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

على المتجر الإلكتروني

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=24&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=24&controller=category&id_lang=3)

على شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>

على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Ajpsn/>

\*\*\* \*\*

بوستر المجلة العربية " نفسانيات "

<http://www.arabpsynet.com/AFP-PubBr/APF.NafssaniatPubBr.pdf>

العدد 2 : من الكتاب السنوي السابع للشبكة " " 19 عاما من الكدح ... 17 عاما من التواصل "

الإنجاز الثاني: مجلات و دوريات في علوم وطب النفس

تحميل من " شبكة العلوم النفسية العربية

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetPart2.pdf>

تحميل من المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=290&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=290&controller=product&id_lang=3)